العتبة العلوية المقدسة

سلسلة كلمات من نهج البلاغة

٣

أخلاق الإمام علي عليه السلام

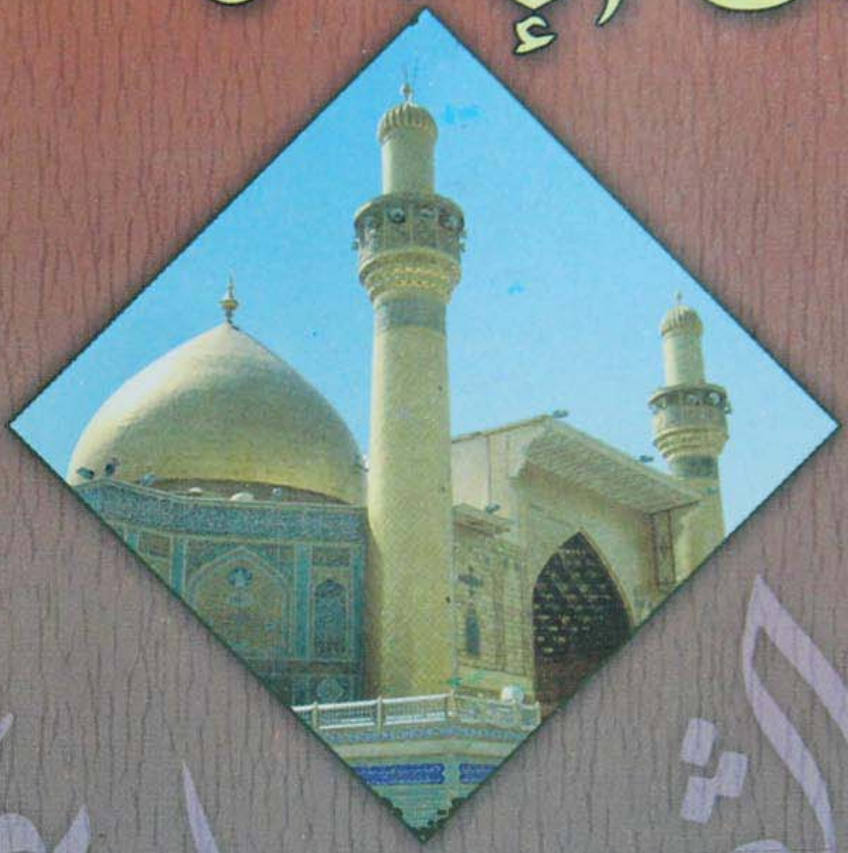

اعداد: قسم الشؤون الفكرية والثقافية

٩
٥
٥٤
المختصة

www.haydarya.com

العتبة العلوية المقدسة

سلسلة كلمات من نهج البلاغة

الإصدار الثالث

أخلاق الإمام علي عليه السلام

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٨١٦١٠
التاريخ ١٠/١٩/ ٩
٦٤٧٨ ١٧

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الاشرف

هـذه مجـموعة مـقتبسة من حكم أمير المؤمنين عليه السلام مختارة من نـهج البـلاغـة مشـروحة بـشكـل يـناسب الفهم العام .

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

١٤٢٨ هـ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين وبعد...

فهذه مجموعة مختارة من الكلمات القصار للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مشروحة بما يتلاءم مع الفهم العام حتى لا يصعب الاستفادة من مضامينها الشريفة لأوسع ما يمكن، لنتفيأ جميعاً ظلال الإمام عليه السلام وننتفع بهذه الحكم المباركة لما تعنيه من أهداف تربوية إصلاحية، وإننا اليوم في حاجة ملحّة للاغتناء من هذه الثروة العلوية، التي تعكس لنا مدى اهتمامه عليه السلام بالأمة حيث سعى لإصلاحها والمشاركة في تهذيب

خادمة
أمير المؤمنين وزائريه

من كلام

أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة

قال عليه السلام :

﴿ أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم ﴾

الدعوة إلى المحافظة على العلاقة القائمة بين أفراد المجتمع والتي تسمى (الصداقة) وهو معنى له مدلوله الخاص المشتق من الصدق، الصدق في المشاعر، الصدق في المعاشرة، الصدق في المواساة، الصدق في الارتباط.

لأن الإنسان قد يقيم علاقة مع إنسان آخر لا تعدو أكثر من كونها تعارفاً تمّ بين اثنين يؤطره

النفوس حتى لمن لم يعاصروه، عندما أتاح لهم هذه الكلمات الموجزة الألفاظ الجزلة المعاني، ليسهل حفظها وفهم معانيها والعمل على تطبيقها عملياً ومن خلال مواقع الحياة كافة ولاسيما ميادين العلاقة المباشرة بين أفراد المجتمع، كونها هي المعبِّرة عن الأخلاق و الطبايع والسجايا، أكثر مما تعبر عنه حالات أخرى غير مباشرة .

لذا فمن الضروري حتى نكون صادقين في علاقتنا بالإمام عليه السلام وانتمائنا إليه والعمل على تطبيقها على أنفسنا ثم على مجتمعنا القريب كالأسرة داخل البيت وعلى البعيد كالأصدقاء والزملاء والجيران وغيرهم، نسأله تعالى أن يعيننا على ذلك بما يعين به الصالحين على أنفسهم انه ولي ذلك والقادر عليه.

فيفضي بهمومه وشجونه فيشعر عندئذ براحة نفسية، قد ينصلح بصلاح صديقه لأنه تأثر به فاستفاد معنوياً وروحياً فسمت روحه وارتفع عن الحضيض وهو مكسب مهم في تاريخ العلاقة قد يعجز عن تحقيقه الكثير وهو إذا تحقق يحوز على رضوان الله تعالى ورضاه وهو غاية ما يتمناه الإنسان المؤمن في حياته وعلاقاته. وقد ينتفع معه بشركة في عمل أو غير ذلك في مجالات الاستثمار والعمل فيستفيد من جراء إقامة العلاقة مادياً فيتحسن وضعه المادي والاقتصادي والاجتماعي.

الثاني: المحافظة على بقاء العلاقة وإدامتها بما يضمن وجودها وتركيزها حتى تدوم المحبة والألفة لتكون قرابة وقد روي عن الإمام الباقر أن (صحبة عشرين سنة قرابة) وما ذلك إلا لعمق

وجود المصلحة وهي في ذات الوقت عمود العلاقة ولذا نرى كثيراً ما تفشل علاقات اجتماعية كانوا يبالغون في وصفها بالأخوة والصداقة الحميمة والحب و .. و.. إلا إنها أول ما تعرضت لحياة اختبار فشلت ولم تقف صامدة بوجه المصالح لتجعل العلاقة ما تحتمه من وفاء وإخلاص وتضحية فوق كل مصلحة. ولعل من أسباب ذلك هو الانخداع وعدم الانتقاء المناسب للأصدقاء.

فهي دعوة لأمرين يحتاج إليهما المجتمع كثيراً لأنهما يساعدان على تكميل نواة المجتمع الصالح، إذ بدونهما يعوزه الكثير فلا يكون المجتمع متكاملاً:

الأول: الانفتاح على إقامة علاقات اجتماعية مفيدة لما في ذلك من مكاسب روحية ومادية، أخروياً ودنيوياً: فإن الإنسان قد ينفتح على صديقه

بهما إلى حيث الانفتاح والانشداد والحب والوفاء فيجد في لقائه وصحبته متنفساً من الهموم المحيطة به فيرتاح إليه.

قال عليه السلام :

﴿اعقلوا الخير إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل﴾

الدعوة إلى التأمل والتدبر عند نقل الأخبار وخصوصاً تلك الواردة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام لأن الهدف الأسمى الذي لا بد من السعي نحوه هو الاستفادة العملية من الأخبار لا مجرد الحفظ والترديد بل مضافاً للحفظ والترديد يكون الاستيعاب والفهم ليكون الناقل واعياً لما ينقله مستفيداً منه معتبراً مما فيه

العلاقة التي مرت بمختلف الأحوال التي تظهر الإنسان الصديق على واقعه ويعرف معدنه.

فلا بد من الوفاء للأصدقاء والإخلاص معهم فلا تكون العلاقة مربوطة بالمصالح المؤقتة بل لتثمر ما هو انفع وهو تكثير عدد الإخوان الذين يحتاج إليهم الإنسان بحسب طبيعته فيكثر بإخوانه ويتعزز بهم وينتصر بهم ليشعر بالاطمئنان والراحة النفسية من هذه الناحية وهي مهمة جداً.

ومن استعمال الإمام عليه السلام كلمة (الإخوان) بدلاً من (الأصدقاء) نعرف السر وراء الاختيار فإن الأخ هو (مَنْ جمعك وإياه صلب أو بطن) ثم استعمل في الصديق الذي لا يرتبط به في صلب أو بطن وإنما ربطتهما معانٍ سامية تقيد كل منهما بها فأخذت

ومما يساعدنا على فهم هذه الحكمة أكثر والإيمان بأهميتها وجدواها وما نعايشه في حياتنا اليومية من إخبارات الأشخاص الذي لم يفهموا الخبر بل كان نصيبهم الترديد كالببغاء أو المسجل من دون حساب النتائج التي يمكن أن تحدث إيجابية أو سلبية.

ومن المؤكد أنا لا نعتمد على هؤلاء بل نترك باب الاحتمال مفتوحاً فيمكن صحة الخبر كما يمكن العكس بينما لو التثبت والتفهم هما الأساس لكان من السهل جداً الاعتماد على إخبارات الأشخاص لأنهم قد استوعبوا ما نقلوا ووعوه وعياً صحيحاً وعندها فلا مانع.

فلا بد أن نسعى لنكون من الرعاة للعلم والحافظين لمحتواه لأن بذلك يتحسن حال الناس

متوقفاً عند المحطات التي تستحق التوقف عندها والتفكر فيها ليتطبع على الخير ويتأثر به في مجاله العلمي.

وأما لو اكتفى الناقل بالحفظ والترديد فيكون حاله حال الأجهزة الصوتية التي تحفظ الصوت وتكرره عند الطلب من دون استيعاب لأنها معدة أساساً لهذا الغرض التوثيقي بينما الإنسان - بما أُعد له من تراث إسلامي ضخم - قد هُيء له أن يكون عنصراً صالحاً في المجتمع من خلال تأثيره فيمن حواليه من خلال قراءآته ومعلوماته المكتسبة التي تنفعه وتنفع غيره فيرتفع المستوى الثقافي والفكري والديني للمجتمع من خلال هذه البداية البسيطة التي تبتني على الوعي التام لما يقرأه أو يسمعه فينقله ليتعلم تدريجياً الدقة والالتزام.

تحلّم ـ الحالة فقد تجاوزها بالصبر عليها وتحمل متاعبها النفسية ـ المؤلمة ـ ليصفو العيش من المنغصات والمكدرات لأن الحياة بطبيعتها لا تخلو من ذلك غذ لا يجد الإنسان من يصافيه تماماً.

فلا بد من استيعاب وامتصاصها وأن لا يتوقف الواحد منا عند كل صغيرة وكبيرة وإلا فلا يهنأ أبداً ولا يرضى عن أحد بل ولا يرضى أحد عنه لأن الناس يميلون إلى من يتناسى الإساءة ويحاول مسايرتهم بالشكل المقبول لديهم وإلا لا نعزل وتحجم اجتماعياً، وينبغي للإنسان أن يحاول ذلك لكن من دون مساس بالثوابت الإسلامية والإنسانية التي يجب أن تسود ولا يصلها الإهمال والتناسي، ومن الخير أن لا ننسى قول النابغة الذُبياني:

ولا نكتفي بأن نكون من الرواة للعلم والناقلين لألفاظه لأن ذلك لا يغير كثيراً من الواقع. إذ لو كان الغرض يتم بالنقل لكان التعبير بـ(انقلوا) وليس (اعقلوا) فمن التأكيد على أعقلوا يعلم أهمية التركيز والتفهم لينشأ جيل علماء ومثقفين واعين ليتكامل الناس ويتحسن وضعهم لأن عدد العلماء دائماً أقل من غيرهم بينما عدد غيرهم أكثر فلا حاجة إلى تكثيرهم.

قال عليه السلام :

﴿إعضِ على القذى وإلا لم ترضَ أبداً﴾

الدعوة إلى الإغضاء والتغاضي عما يواجهه الإنسان من مواقف المواجهات التي تتشنج فيها العلاقات وبذلك يكسب الإنسان الغاضي - الذي

لممارسة هذا العلمية مع النفس وهو أمر يجمع بين السهولة والصعوبة.

فمن منطلق القرب فالنفس أقرب شيء إلى بدن الإنسان لإحتوائه لها وإدراكه الأشياء عن طريقها فيسهل الترويض.

ومن منطلق التباين بين النفس الإنسانية والتعاليم السماوية تبدأ مرحلة الصعوبة لأن التعاليم تتضمن مجموعة من الأوامر والنواهي التي يصعب على الإنسان الاستجابة لها إلا بالترويض والتعويد تدريجياً لأن الفعل المستعجل تكون ردة فعله قوية جداً على مختلف التقادير، فالتدرج ومحاولة الإقناع بالفائدة المرجوّة من العمل أمر ضروري في هذه العملية، فإذا عرف الإنسان أن هذه التعاليم لمصلحته وتدور حول

ولست بمستبق أخاً لا تلمه

على شعث أي الرجال المهذب

فلا بد من الإغضاء، والتحمل، والتحلم مع القدرة على المواجهة والرد، لأنه لو خسر الإنسان فرداً وفرط به، فليس بمعلوم إمكان البديل المناسب، المرضي من جميع الجهات، وإلا لم يكن إنساناً عادياً.

قال عليه السلام:

﴿أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه﴾

مما لا شك فيه أن عملية الترويض بمختلف أشكاله ومستوياته تثمر نتائج جيدة تنفع في مجالات عديدة، والدعوة من الإمام عليه السلام موجهة

تحمل المتاعب الجسمية انتظاراً لما أعده الله تعالى في الدنيا والآخرة من الثواب الجزيل بمختلف أشكاله.

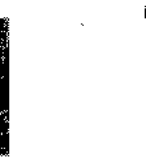

قال عليه السلام :

﴿أفضل الزهد إخفاء الزهد﴾

الزهد من الخصال الحميدة التي ينبغي التحلي بها والاتصاف بها مهما أمكن لأنه يهيء للإنسان فرصة التوافر على حالات نفسية عالية يبحث عنها الإنسان ـ غالباً ـ لأنها تريحه من عناء الدنيا والحياة المادية المتعبة بتطورها وتقنياتها وما تستوجبه من مظاهر تثقل روح الإنسان قبل جسده وتبعده عن ساحة رضوان الله ـ إلا مَنْ عصم الله تعالى ـ .

فائدته الدنيوية أو الأخروية، المادية، أو المعنوية آمن بضرورة الامتثال، أو الانتهاء. ومن الضروري إيجاد وسائل دعم وتشجيع للمواصلة فكان منها هذه الحكمة منه عليه السلام ليتحفز الإنسان في أداء العمل المطلوب ولو لم يتلائم مع هواه، ما دام أنه الأفضل وكلنا يسعى نحو الأفضل، فلا بد من استيعاب هذه الحكمة جيداً لئلا يقع الإنسان في مطبّات المخالفة والمعصية على أساس أن العمل المنهي عنه من الأمور الشخصية الطبيعية فلا حق أحدٍ في تحجيم هذه الحرية، أو أن العمل المأمور به مما لا يرغب به. لأن القضية غير متروكة للاختيار بعد الالتزام بموجب الميثاق الإسلامي. ولابد من المخالفة للأهواء الباطلة التي تبتعد بصاحبها عن طريق الحق والصراط المستقيم . أيضاً لا بد من

الآخرين، عدم الاعتناء بالغير، وسوء المعاملة، والمجابهة الحادة.

مما لا يتلاءم مع تعريف الزهد لأن من أعرض عن الدنيا ـ التي هي موضوع الزهد هنا ففي المصطلح الأخلاقي ـ عليه أن يحتقر عملياً كل المغريات والصوارف الطبيعية والمصطنعة لأجل أن يقترب من ساحة عفو الله تعالى ورحمته . ولا يكفي برفع الشعارات لكسب الثقة مع أن الواقع بعيد ومتفاوت مع الظاهر.

فالإمام عليه السلام دلنا عن أفضل الطرف الموصلة إلى الإعراض عن الدنيا بأن يجاهد الإنسان نفسه واقعياً ومن منطلق الداخل والضمير قبل منطلق المظهر الخارجي، فالزاهد حق الزهد من ابتعد عن الحرام ليتوفر بعد ذلك كله على ما يؤهله

إذن فالإمام عليه السلام يدعو إلى التحلي بهذه الخصلة الحميدة ويؤكد على أمر مهم يكتسب أهمية بالغة وهو ضرورة عدم التظاهر والتجاهر بهذا الشيء لئلا يصاب الإنسان الزاهد بداء الغرور والإعجاب الذي تقل معه فرصة المواصلة والمتابعة على نفس الخطى على أساس أنه واصل إلى هذه المرحلة المتقدمة فلا يلم بذنب أو لا يضره شيء اتكالاً على الزهد فلا بد من الحذر من مصيدة الشيطان لئلا يقع الزهد فيها لأنه بمرصد ومرقب من شياطين الجن والأنس فلأنه بدأ أولى خطواته على طريق الله تعالى وبدأ فعلاً بمخالفة هو ونفسه والأمارة بالسوء، وهذا أمر لا يروق لأعداء الله تعالى فيحاولون طرح العثرات وتكثير العراقيل فيكون العجب والإعجاب، واستكثار العمل، واستقلال عمل

قال عليه السلام :

﴿افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئاً، فأن صغيره كبير وقليله كثير، ولا يقولن أحدكم إن أحد أولى بفعل الخير مني فيكون - والله - كذلك، وإن للخير والشر أهلاً فما تركتموه منهما كفاكموه أهله﴾

إن من العوامل المؤثرة في بث الروح الحماسية للقيام بالمهمات هو: عامل التشجيع والدعم على أساس - أن ليس أحد أحق بالأمر منك - مما يدفع نحو القيام بالمهمة مع الشعور بالأهمية والكفاءة مما يؤثر - حتماً - على تحسين الناتج.

ومن الواضح أن دعوة الإمام عليه السلام تضمنت هذا الأسلوب في الحث: فقد بين عليه السلام أهمية الخير وضرورة إبراز مظاهره الحياتية بمختلف صنوفها. وعدم

للارتقاء في سلالم الكمال. إذ الأمر غير مقتصر على لبس الخشن أو أكل الخشن أو المعاملة الخشنة بل الأمر يتسم بعمق أصيل ومرتكز متجذر - أو يجب أن يتجذر - في الإنسان ليستقر في الأعماق فتنطلق التصرفات عن قناعة لا تقليد وعن وعي لا محاكاة .. نعم لا يُنكر تأثير المحاكاة - أحياناً - إلا أن مرحلتها وتأثيرها المؤقت بكل تأكيد بينما يريد الإمام عليه السلام منا أن نتعود ذلك ونتصف به لنكسب الأصدقاء على طريق الله تعالى المتمثل في الدعوة إلى الإسلام ومبادئه ومُثله العليا التي تحقق للإنسانية ما تحلم به وتوفر لها كل وسائل التحضر والتقدم بكل أشكاله ومراحله ـ لكن بالشرط المذكور ـ أعني تجذر الإيمان وانطلاق الفكرة من الأعماق.

فرصة يصعب تعويضها فقد لا تتاح مرة ثانية، وأن الإنسان إذا تعود التواكل والاكتفاء بمبادرة الآخرين فسيكونون أولى وأحق منه دائماً لأنه لم يترك الفرصة لنفسه بالعمل ولو مرة واحدة وإنما كان من المتماهلين فحتماً سيتقدم غيره ويتأخر هو، ولا يتصور الإنسان أن العمل المطلوب انجازه إذا لم ينجزه هو تتوقف عجلة الحياة بل هناك الكثير ممن يبحث عنه ويسعى للحظوة به فيتلقف الفرصة بسرعة، وهنا قد تحدَّث الإمام عليه السلام بشمول، فإن للخير أهلاً وكذلك للشر فلا بُدَّ للإنسان أن يتباعد عن الشر لئلا يكون من أهله ويترك الأمر لمن سخط الله عليه لأن المهم الإقلاع عن الشر والتقدم نحو الخير الذي هو كل فعل إيجابي لا

إهمال أيّ مقدار منه مهما تضاءل حجمه التقديري - الحسي - أو الاعتباري لئلا يحرم أفراد المجتمع من ذلك الخير.

ثم بين عليه السلام أن للخير أفراداً عديدة وصوراً مختلفة لا يمكن حصرها لاتساع الدائرة بحسب الزمان والمكان والأشخاص. فيجب أن لا يحتقر صغير الحجم من هذه الأفراد لأنه كبير بمقياس أنه خير. وكذلك لا يستهان بقليل المقدار منه لأنه كثير بمقياس أنه خير، وقد راعى عليه السلام التناسب في المقابلة بين الصغير والكبير، وبين القليل والكثير. وهو أمر مهم من الناحية الأدبية، البيانية، الأدائية.

ثم بين عليه السلام أنه لا ينبغي التواكل في عمل الخير بل لا بد من المبادرة والمسارعة مهما أمكن لأن ذلك

مقابلة النعم بالتعامل المناسب من الشكر والثناء وعدم التوصل بها إلى ما يغضب المُنْعِم ـ أياً كان ـ وهذا شيء أساسي تفرضه قواعد الآداب الاجتماعية العامة فكيف ـ إذن ـ إذا كان المنعم هو خالق السموات والأرض، المحيط بكل شيء، الذي لا يعجزه شيء، الذي لا تضره معصية من عصاه كما لا ينفعه طاعة مَنْ أطاعه وإنما المتضرر والمنتفع بالدرجة الأولى هو العبد. فالإمام عليه السلام يؤكد على هذه النقطة المهمة في استدامة الألطاف الأهلية واستمرار الإمدادات الربانية والتي يحتاجها كل مخلوق مهما كان حجمه أو شأنه، فلو لم نلتزم بهذه الحكمة لحَكَمْنا على أنفسنا بالحرمان وزوال النعم فإنها تزول إذا لم تجد الجو الملائم والظرف المناسب والتعامل اللائق. فلا بد للإنسان العاقل أن

يضر أحداً بما يكون مقصوداً - وإلا فكل فعل يتصف بموافقته لأحد ومخالفته لآخر.

قال عليه السلام :

﴿أقل ما يلزمكم لله أن لا تستعينوا بنعمه على معاصيه﴾

الدعوة والتنبيه إلى أمر مهم جداً يغفل أو يتغافل عنه كثير من العباد وهو أن الإنسان يتمتع بما أنعم الله تعالى عليه من صحة وعافية وجاه ومال وقوة ونفوذ و .. و .. إلا أنه قد يستعملها فيما لا يرضي الله تعالى بصرف هذه النعم فيه كالمحرمات التي نهى تعالى عن اقترافها والاقتراب من حدودها وأمَرَ عز وجل بالابتعاد عنها والانزجار النفسي عن ممارستها، بينما أن الواقع يفرض

فإذا كان الإنسان متصفاً بهذه الصفة الكريمة فالإمام عليه السلام يدعونا للتصفح والغض عن خطئه ويحبب لنا التسامح وقبول العذر ـ لو اعتذر ـ تكريماً لهذه الصفة وتعزيزاً لها في النفوس وتبياناً بأن الإنسان معرض للتجاوز والخطأ، فلابد للآخرين أن يساعدوه ـ على تلافي التكرار وعدم الوقوع مرة أخرى ـ بقبول العذر بل وابتغاء العذر له ـ لو أمكن ـ لأن هذا الجانب الأخلاقي مهم جداً في تسيير عجلة الحياة الاجتماعية وإلا تعطلت وتكثرت الحواجز والمعرقلات لأن الإنسان معرض دائماً بحكم طبيعته إلى التورط من خلال تصرف أو كلام، وفي الغالب ويندم على ما صدر منه.

فحريٌّ بنا ـ نحن المسلمون ـ الإصغاء لهذه الدعوة الكريمة والامتثال والتطبيق لموادها كي

يُحسن التعامل مع ما يرزقه الله من متطلبات الحياة ومهمات البقاء في الدنيا من الأمور المعنوية والاعتبارية أو المادية والشأنية، فلا يقابل هذا كله بالتمادي في الطغيان والتمرد بل يلزمه ـ بحكم الدليل العقلي ـ أن يشكر ولا أقل من عدم الاستعانة بالنِعَم على ما لا يرضى به تعالى.

قال عليه السلام :

﴿أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم، فما يعثر عاثر إلا ويدُ الله بيده ترفعه﴾

اهتمام واضح بالمتصف صفة المروءة وفي ذلك تشجيع وتحبيذ ودعوة لاتصافنا بها ولتكاملنا ضمن خطها لها فيها من معانٍ سامية يهتم بها الإمام عليه السلام أنها من أهداف الإسلام.

له قلب الطرف الآخر ـ المعتدى عليه ـ، وأما بالاعتراف بالخطأ فيعطي فرصة التراجع، وأما بعدم الإصرار على الخطأ والندم القلبي على ما صدر منه ...، وأما بالتوبة والاستغفار أيضاً ...

مما يساعد على عدم توقف الحالة أو تشنج الوضع بل تسير الأمور كجاري العادة الطبيعية، كل ذلك بتأييد الله وتسديده ومنته وقوته فإن (اليد) بمعنى النعمة والرحمة والقدرة، فإن الله تعالى ينعم عليه بتلافي الحالة ويرحمه بأن لا يصر على الخطأ لأن عز وجل القادر على العباد وكل ذلك من دون إلجاء أو تأثير مباشر وإنما يهديه للتي أقوم وأحسن وأليق بحال هكذا إنسان تتمثل فيه الإنسانية وكل صفات الرجل القوي الذي عود نفسه على جيد الأفعال والأقوال التي يبالي بما

نضمن تبادل التسامح والتغاضي والصفح عما لو بدرت أخطاء من أي فرد منا.

وقد عبر عليه السلام عن الأخطاء بالحسرة التي (السقطة، الزلة) ولعل صدورها من الإنسان إنما هو لتنبيهه إلى أمرر يتغافل عنك ـ خصوصاً لو بلغ مرتبة توهمه بالكمال ـ وهو الطبيعة البشرية القائمة على صدور الخطأ قولاً أو فعلاً وإن المعصومين من الخطأ معينون مخصوصون ومن عداهم فهم يتفاوتون في درجات الكمال فلا داعي لآن يشمخ بعضنا على البعض الآخر.

ومما هو جدير بالاهتمام إن الإنسان المسلم الملتزم المتمسك بحبل الله ورسوله وأوليائه مدعوم بدعم إلهي لئلا تتعرقل سيرته الحياتية، ذلك بعدة صور وأشكال أما بأن يبادر للاعتذار، وإما بأن يرق

فلا بد من كف اللسان وتعويده على التحفظ وإلا كَثُرَ الخصوم والعيابون لأنك لو نطقت فلك لسان واحد بينما لغيرك ممن حواليك وممن يبلغهم عيبك ألسن متعددة بعددهم ومن المؤكد أن الإنسان الواحد لا يستطيع مقاومة العدد الكثير لأنه متى حاول سد جهة انفتحت له جهات أخرى. فحبذا مراعاة هذا الجانب الأخلاقي وانشغال الإنسان بعيوبه عن عيوب غيره اللهم إلا إذا كان من اسداد النصيحة وبيانها فلا ما نع لكن بعد التأكد من عدم الاتصاف لتكون نصيحته أكثر قبولاً وأوقع في النفوس وإلا لقيل له إذا كان ما تقول حسناً أو سيئاً فلماذا لا تطبقه أنت؟! كما قال المتوكل الليثي:

قال ويما قيل وهذه الحالة لا تترسخ إلا بالممارسة والمجاهدة للهوى الغلاّب وإلا فمن السهل جداً إطلاق العنان وعدم السيطرة فيتفوه أو يتصرف بما شاء من دون المراقبة.

ومن الجدير بالذكر أنه قد جاء في المَثَل (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم).

قال عليه السلام :

﴿ أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثلُه ﴾

الدعوة إلى أن يهذب الإنسان نفسه ويحاسبها بكل دقة لئلا ينتقد أحداً بعيب هو منتصف بمثله فإن هذا من العيب على العقل لأنه سوف يفسح المجال لانتقاده أيضاً.

الدائمة فإنه مهما بقي فيما فسيرحل حتماً. إذ أن الموت منه قريب بحيث يفاجئه في أية لحظة يقدرها الله تعالى، وكل آت قريب فيعني ذلك أن موعد الحساب وهو يوم القيامة قريب أيضاً فلا مجال للتراخي في تأدية الواجبات والتزود بزاد الآخرة والخروج عن التبعات التي تثقله أخروياً والتخفف عن الأوزار التي ترهقه لدى المساءلة الإلهية.

ثم أن من الطبيعي جداً قلة المكث في الدنيا إذا كان الموت قريباً، فمن يعمر في الدنيا مهما بلغ عمره فهو كضيف في الدار لا بُدَّ له - يوماً ما - من الرحيل والانتقال إلى حيث البقاء الأبدي.

فالدعوة تتضمن تحذيراً وتذكيراً:

فالتحذير من الاغترار بالدنيا والتصديق بوعودها فأنها إذا تشوقت وتبسمت لأحد ظنّ

لا تنه عن خلق وتأتي مثله

عارٌ عليك إذا فعلت عظيم.

قال عليه السلام :

﴿الأمر قريب والاصطحاب قليل﴾

الدعوة إلى الاستعداد للقاء الله تعالى وعدم الركون التام إلى بهارج الدنيا وملذاتها لأنها زائلة يفارقها الإنسان إلى حيث السؤال والجزاء فلا بد للإنسان العاقل أن يستعد لذلك فلا يقطع حبل الصلة بينه وبين الآخرة ومتعلقاتها في الدنيا بل عليه أن يعيش دنياه في الدنيا وأن يعيش آخرته في الدنيا وذلك بأن يوفي كل واحدة حقها ـ قدر الإمكان ـ ولا يجري مع الدنيا على أساس أنها

قال عليه السلام :

﴿إمش بدائك ما مشى بك﴾

الدعوة إلى تحمل الداء (المرض والعلة) وعدم اللجوء إلى استعمال الدواء - والتركيب الكيمياوي - إلا في الحالات القصوى التي لا ينفع معها العلاج بالراحة والنوم وتقليل الطعام (المضر).

وهذه الحكمة تتفق مع التجارب العديدة لفئة المعمرين فإن سر طول العمر أ غالباً وبعد إرادة الله تعالى طبعاً، هو التقييد بنظام معتدل في الطعام والشراب والنوم وسائر ما يستعمله الإنسان أو يحتاجه. وقد أثبتت التقارير العلمية أن الإسراف في استعمال الأدوية خصوصاً تلك المركبة المصنعة، يعود بالضرر المباشر على المستعمل أو بعض الأضرار الجانبية التي تظهر تدريجياً والتي

صدقها وأنها على هذا الحال دائماً بينما الأمر مختلف تماماً إذ إنها خدعة يصطاد بها الغافل والمغفل فعما قريب يترك الإنسان كل ما يعز عليه من أولاد، مال، منصب، زوجة، جاه ... فإن اصطحابها وكينونتها معه أمر موقوت فليحذر العاقل.

والتذكير بقرب موعد الرحيل إلى دار البقاء ليتهيأ الإنسان ويستعد لسفر طويل لا يمكنه معرفة جهته فإما إلى الجنة إن أعد نفسه أو إلى النار- والعياذ بالله - إن غفل واطمأن للدنيا.

استعمال الدواء ولا يتحوطون لسلامتهم يصابون بانتكاسة صحية غير متوقعة.

وقد أشار عليه السلام لذلك في وصيته لولده الحسن عليه السلام بقوله: (ربما كان الدواء داءاً والداءُ دواءاً) فلا يتعجل الإنسان باستعمال الدواء وأيضاً لا يضجر إذا مرض لأنه قد يبعد عنه ذلك شر شيء أكبر، كما يلاحظ في كثير من الحالات السريرية اكتشاف مرض لم يكن يعلم أو يشعر به المريض - نفسه -، إذن الداء دواء. كما أنه قد يكمن الداء في استعمال ما أُعد ليكون دواءاً والشواهد الكثيرة دالة على ذلك.

تكون . في كثير من الحالات والتجارب ـ سبباً كافياً للوفاة أو الإصابة بمرض يؤدي إليها.

فلا بد للإنسان أن يعالج نفسه بنفسه وذلك من خلال وسائل طبيعية كالراحة وتقليل الطعام أو استعمال بعض النباتات التي يضمن عدم ضررها ليكون قد مشى بمرضه ما أمكنه ذلك حتى إذا استعصى العلاج من خلال ذلك فعليه الاستعانة بالخبير الطبي لوصف الدواء.

وإذا تذكرنا بعض المسموعات السابقة عن نسبة الخطأ والاشتباه للمختصين ممن يشّخص الداء أو يصف الدواء، لَعَلِمْنا أن الإمام عليه السلام حريص أشد الحرص على سلامتنا ووقايتنا من الأعراض الجانبية المضرة التي تفقدنا الصحة، وقد دلت التجارب أن أولئك الذين يبادرون ويسرفون في

وقد يتخفف من كل ذلك فلا يجد من نفسه الإقبال على عمل المزيد وإنما يحاول أن يوجد فرصة لانجاز المفروض. وهذا كشيء طبيعي لا غبار عليه ولا يمكن إنكاره لأنه يتماشى وتركيبة الإنسان الفسلجية والاجتماعية، لأن العوامل الجسدية والنفسية والبيئية تترك تأثيرات قوية عليه.

فالإمام عليه السلام يدعونا لأن نكون أكثر واقعية ونتجرد من نمطية أداء طقوس وممارسة أعمال وقراءة سطور أو صفحات مما يشكل دائرة روتين، بل لا بد من أن نتعايش روحياً بكل ما يشدنا بالخلق تعالى لأنه أنعم علينا بكل مواهبنا ومراكز القوة فينا فلا يناسب أن نأتي إلى رحابه متناعسين متكاسلين متثاقلين، بل المطلوب أن نأتي بكل انفتاح

قال عليه السلام :

﴿إن للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض﴾

من المعلوم إن الإنسان لا تتساوى حالاته وتوجهاته النفسانية بل تؤثر علية عوامل الزمان والمكان والأصدقاء والبيئة والفقر والغنى والصحة والمرض والأمن والخوف والانفتاح وعدمه والمداومة على العمل وعدمها وكبر السن وصغره ... وهذا بشكل عام فيشمل بطبيعة الحال اتصاله بالله تعالى حال العبادة فقد ينشّد تماماً فيؤدي المفروض ويتطلع نحو المزيد لأنه ممن ذاق حلاوة مناجاة الله تعالى وفاز بالاتصال الروحي معه فتعلقت روحه بباريها وتخففت من أدران المادة وتبعاتها.

أهواءها ونحاول السير إلى مدارج الرقي الأخلاقي ضمن درب العبادة لنضمن محلاً كريماً في منازل الآخرة يتناسب مع طموح الواحد منا وإلا لكنا ممن يطلب الآخرة بلا عمل.

﴿إن للقلوب شهوة إقبالاً وإدباراً، فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها فإن القلب إذا أكره عمي﴾

من المعلوم أن قسر النفس وإلجائها إلى القيام بعمل لا ترغبه ولا تتفاعل معه يأتي بنتائج عكسية أو أقل من مستوى الأمل والطموح، وهذا أمر يتفق فيه جميع بني الإنسان ولذا كانت مجاهدة النفس ومغالبة الهوى ومحاولات الترويض والتهذيب

وشوق وشعور بأنه سبيل الراحة والتنفيس اللذين يطلبهما الإنسان بعد إثقاله بمتاعب الحياة المادية وما تقتضيه من تقيدات وملاحظات سياقية.

ومن غير الصحيح أن ننكر اتصافنا بذلك وإلا لفقدنا موقعنا المناسب في المحيط الإنساني الطبيعي، وكنا مؤيدين لمظاهر لا تتسم بالمصداقية الصحيحة وإنما مجرد ترديد ولقلقة لسان أو قيام وقعود بلا وعي، بلا حس صادق، بلا شعور حقيقي، بلا تفاعل مع الممارسة، لينتكس من ذلك إشعاع على مؤديها ليسمو به إلى حيث الكمال أو التكامل المنشود.

ولا بد أن ننته إلى أن الشيطان يترصدها فلا مناص من الحذر منه وإلا لحارينا بسلاح إقبال النفس وإدبارها بل اللازم أن نربي أنفسنا ونجاهد

مقبولة بعيد عن القصر والنمطية والروتين والعادة الموروثة وإنما تنبض بروح الجدية والشوق والسعي نحو التكامل.

قال عليه السلام :

﴿إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها وحد لكم حدوداً فلا تعتدوها ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكلفوها﴾

بين عليه السلام في هذه الحكمة عدة نقاط مهمة يعزونا الالتزام بها إذ الكثير يسأل عما وراء التكليف، أو يتساهل في تنفيذ أحكام إلهية بقسميها الآمر والناهي.

ليتمكن الإنسان من مسك زمام النفس والسيطرة عليها والتحكم فيها والتمكن المريح منها.

فالإمام عليه السلام يدعونا لأن نختار الأوقات المناسبة ـ أو لنهيء الحالات الملائمة ـ ولا نترك القياد للنفس التي تحب الراحة والكسل فإذا توفرنا على ذلك أحرزنا النتيجة المرجوة المأمولة من العمل وكسبنا الجزاء الموعود دنوياً أو أخروياً وهذا التوجه القلبي أو الانصراف أمر سائد في كل المجالات الدينية والدنيوية فإنه يحكم تصرفات الإنسان ولا يمكنه السيطرة والتغلب على إظهاره ـ إلا نادراً ـ إذ يتبين على صفحات الوجوه ويقرأ من العيون ـ كما يقولون ـ .

فلنسر على خطى الإمام عليه السلام في توجيه السامي ضمن هذه الحكمة لتكون أعمالنا وانجازاتنا مثمرة

فأما إذا سكت عنه ولم يكلف به فما هو إلا وفق المصلحة والحكمة التي لا تدركها عقول المخلوقين مهما كانت قواها لسبب بسيط جداً لأن العقول وأصحابها مخلوقة له فهو الوحيد لها والمودع فيها القدرة والقابلية على التفكير والإبداع فهو ـ بالطبع ـ أقوى إدراكاً وأنفذ رأياً وأحزم وأحكم وأعلم ...

فلا موجب بعدئذ للسؤال والاستفسار عن أمور متروكة لمصلحة عليا، وإنكما الواجب التوجه نحو امتثال الأوامر والانزجار عن النواهي وعدم التعرض لما يبين من وجهة تشريعية، فإن التشريع القائم يغطي مساحة عمر الإنسان ووقته فقد برمج وفق المناسب لحال كل فرد بحسب اختلاف جنس

وهو أمر يشق كثيراً على الموجهين إذ يبعد المسافة ويخلق جواً من التعللات العلية في ذاتها كعدم الاقتناع بالأثر، بالأهمية والجدوى، بالسبب ... وهذا ما يدركه المصلحون الموجهون فإنه يخرب خطة الإصلاح ومنهاج الإرشاد ويعطل القدرات المتهيأة لذلك. وعندئذ تنحرف المسيرة عن خطها الأساس إلى فروع جانبية لا تكتسب أهمية بل هي صوارف الشيطان.

فلهذا ونحوه دعانا عليه السلام للالتزام بالتعاليم والتوجيهات والسير على منهاجها، والاهتمام بتنفيذها، وترك التطلع إلى المزيد من العمل لأنه لو كان مناسباً لما أغفله خالق السموات والأرض العالم بالسرائر والخفيات الذي لا يعجزه شيء.

وزمان ومكان وفئة وحالة كل إنسان بما للكلمة من شمولية.